إثبات وجود الله تعالى بين أهل النظر وأهل الحديث

م. د. معاذ محمد عبيد
كلية الامام الاعظم الجامعة
قسم الدعوة والخطابة / كركوك

Proof that god is almighty between people of sight and those of speech

M. Dr. Mouaz muhammad obeid

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة لبيان الموقف من قضية معرفة الله تعالى باعتبارها الحجر الأساس في العقيدة الإسلامية، وبيان انقسام المذاهب العقدية حيالها، فذهب فريق من المتكلمين إلى أن المعرفة هي أول واجب على المكلف وأنها لا تقع إلا بطريق النظر والاستدلال، بينما ذهب الفريق الآخر من الصوفية وأهل الحديث وبعض المتكلمين إلى أن معرفة الله تعالى مغروزة في الفطر البشرية لا تحتاج الى برهنة عليها، وأنها ليست أول واجب على المكلف، وأنها لا تتعين بطريق النظر والاستدلال الذي يوجبه المتكلمون، بل أن لها طرقا أخرى كدلالة الفطرة البشرية أو طريق الإلهام أو دلالة العناية والاختراع على وجود المبدع الخالق، ثم ختمت الدراسة ببيان الراجح من هذه المذاهب.

Abstract

The aim of this study is to clarify the position on the issue of the knowledge of Allah as the cornerstone of islamic faith، and the division of dogmas over it. A group of speakers argued that knowledge is the primary duty of the taxpayer and is only to look and deduce. The other team of sufi It has other ways، such as the sign of human nature، the way of inspiration or the sign of care and in-vention that the creator exists.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد الامين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد.

إن أهمية موضوعنا تكمن في كونه يبحث في أشرف علوم الاسلام وهو ما تعلق بالله تعالى؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم، ومن أهم هذه العلوم هو علم العقيدة المتعلق بالله تعالى وأسمائه وصفاته، وقد حظيت كتب العقيدة بالعديد من المباحث التي تناولت قضية إثبات الصانع، وأعطتها إهتماما واسعا باعتباره الأساس الأول والأصل الأصيل الذي يتوقف عليه صحة المعتقد، ثم بعد ذلك تبنى عليه بقية أمور العقيدة، بل علوم الشريعة جميعها.

- **أسباب اختيار الموضوع**

أما سبب اختياري الموضوع هو للاطلاع على المناقشات التي أشغلت الفكر الإسلامي القديم، في كثير من القضايا ومنها قضية معرفة الله تعالى، وجعلته يخوض في مخاضات وأبعاد عميقة بين مدرستين: مدرسة أهل الحديث والأثر، من المتمسكين بظواهر نصوص الوحيين، وبين مدرسة أهل العقل من المعتزلة، والتي سلكت في إثبات العقيدة طرقا عقلية قائمة على المنطق اليوناني أو الفلسفة الكلامية، وتبع ذلك ظهور مدرسة الاشاعرة والكلابية التي حاولت التوفيق بين الحفاظ على هيبة النصوص والأدلة السمعية مع عدم إهدار ما يقتضيه العقل من الأدلة المنطقية. وهذا

ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع لتجليته وبيانه وعرضه، وبيان الراجح منه حسب ما يتضح لي من الأدلة على قبوله ورجحانه.

- **مشكلة الموضوع**

أما مشكلة الموضوع المراد معالجته هو هل أن معرفة الله تعالى متوقفة على طريق النظر والإستدل الذي يقول به كثير من أهل الكلام، أم أن المعرفة فطرية ضرورية ؟

- **منهج البحث**

إعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي للأقوال والمذاهب حيث نقلت الأقوال من مصادرها الاصلية، ثم عرضتها مع أدلتها، ثم بينت ما ترجح لي منها.

- **خطة البحث**

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه الى أربعة مطالب:

المطلب الأول: أن معرفة الله تقع بطريق النظر والإستدلال.

والمطلب الثاني: أن معرفة الله تقع ضرورة فحسب.

المطلب الثالث: أن معرفة الله تعالى يمكن أن تقع ضرورة أو استدلالا.

المطلب الرابع: الترجيح بين الاقوال.

ثم ذكرت بعد ذلك الخاتمة، سطرت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها، ثم ذكرت أهم المصادر التي اعتمدت عليها.

واللهَ اسالُ التوفيق والسداد لما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المطلب الأول

أن معرفة الله تعالى تقع بطريق النظر والإستدلال

وهذا مذهب جمهور أهل الكلام من المعتزلة[١] والأشاعرة[٢] ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة.

حيث ذهب هذا الفريق إلى أن معرفة[٣] الله تعالى واجبة، وأنها لاتحصل إلا بالنظر[٤] العقلي، وأنها ليست فطرية ولا اضطرارية، بل هي مكتسبة.

---

(١) المعتزلة: اتباع واصل بن عطاء(ت: ١٣١هـ) والذي كان تلميذا للحسن البصري فاعتزل مجلسه وبدأ يُنظِّر لمذهب جديد، ثم انقسمت المعتزلة الى عشرين فرقة، يجمعهم القول بخمسة أصول وجعلوا من خالفها لربما يكفي أو يفسق وهي: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٧، والملل والنحل ٤٥/١، والفرق بين الفرق ص٩٧-٩٨.

(٢) الأشاعرة: وهم المنتسبون في الاعتقاد الى الإمام أبي الحسن الأشعري(ت: ٣٢٤هـ) وستاتي ترجمته قريبا.

(٣) المعرفة تعني: ما تقتضي سكون النفس، وثلج الصدر، وطمأنينة القلب، ينظر: شرح الأصول الخمسة ص٢١.

(٤) النظر لغة: إدراك الشيء بحاسة البصر والفكر، وعرفا: هو ترتيب أمرين معلومين ليتوصل بترتيبهما إلى علم مجهول. ينظر: شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص٨٤، وشرح العقيدة الكبرى للسنوسي ص١٩، وعرفه الجويني بانه: الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن، ينظر الارشاد الى قواطع الأدلة في اصول الاعتقاد ص١١. وعرفه الرازي وجوديا بقوله: هو تحديق العقل نحو المعقولات. وعرفه الطوسي بقوله: هو الانتقال من أمور حاصلة في الذهن الى أمور مستحصلة

قالوا: إن أول ما أوجب[١] الله تعالى على خلقه العقلاء باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعا النظر والإستدلال، المؤديين إلى معرفة الله سبحانه، وحدوث العالم؛ لأن من لايعرف الله تعالى لايمكنه أن يتقرب إليه، كما أن من لايعرف زيدا لايمكنه التقرب إليه؛ لأن من شروط المتقرِب أن يكون عالما بالمتقرَبِ إليه، ولكنه ليس بمشاهد لنا ولا معلوم ضرورة[٢]، فوجب أن نعلمه بالنظر والإستدلال اليه [٣].

وقد اختلفت عباراتهم في التعبير عن هذا الواجب بالشكل التالي[٤]:

١. أن معرفة الله تعالى هي أول الواجبات، إذ هو أصل المعارف والعقائد الدينية،

هي المقاصد. ينظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٤٠ مع الحاشية للطوسي.

(١) الواجب في عرف المتكلمين هو: الواجب لذاته هو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعا ليس الوجود له من غيره بل من نفس ذاته فإن كان وجوب الوجود لذاته سمى واجبا لذاته وإن كان لغيره سمي واجبا لغيره. وفي عرف الفقهاء هو عبارة عما ثبت وجوبه بدليل ظني الثبوت او الدلالة، وحكمه كالفرض عملا لا اعتقادا، فيثاب فاعله ويستحق تاركه العقوبة وجاحده يضلل ولا يكفر، والمراد هنا بالواجب هو حمله على المعني الفقهي. ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٣٢٢، التعريفات الفقهية ص ٢٣٥، انيس الفقهاء ص٣٢.

(٢) العلم الضروري هو: ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة كالعلم بثبوت الصانع وحدوث الأعراض، ينظر: التعريفات للجرجاني ١ /٢٠٠، وعرف أيضا: بأنه العلم الذي لا يمكن العالم به نفيه عن النفس بوجه من الوجوه .ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ص ٢٣.

(٣) ينظر في ذلك المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى البغدادي، والمجموع في المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ١/ ١٧ وما بعدها، وشرح المقاصد للتفتازاني١/٤٤، ونهاية الأقدام في علم الكلام لعبد الكريم الشهرستاني ص ١١ والأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٤. ونهاية العقول في دراية الأصول للرازي ص ١٩٥.

وممن ذهب إلى وجوب النظر أيضا الشيعة، ينظر: كتاب الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد تأليف الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ص ٤٤.

(٤) ينظر: المواقف للايجي ١/ ١٦٦.

وعليه يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية، وهذا ينقل عن أبي الحسن الأشعري[١] في أن أول الواجبات على العبد هو العلم بالله تعالى، وهذا العلم لايتأتى ولا يتحصل إلا عن طريق النظر[٢]، وهذا عليه الأكثرون من الإشاعرة، وهو ما أكده الإمام البقلاني[٣] في أن أول فرائض الله تعالى على عباده هو النظر في الايات الكونية، والاعتبار بالقدرة الإلهية، ثم تأتي الفريضة الثانية من الله تعالى وهي الايمان به والاقرار بكتبه ورسله[٤].

٢. وقيل هو النظر فيها أي في معرفة الله سبحانه لأنه واجب اتفاقا، وهو يكون قبل المعرفة، وهذا مذهب جمهور المعتزلة[٥].وهذا ما أكده القاضي عبد الجبار[٦] في

(١) هو: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الاشعري(ت: ٣٢٤هـ) البصري ثم البغدادي المتكلم المنسوب اليه المذهب الاشعري، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة ويذكر أن له خمسا وخمسين مصنفا، وكان في أول أمره معتزليا ثم رجع عنهم وخالفهم ورد عليهم، وشهرته تغني عن الاطالة. ينظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٦٠، والملل والنحل١/٩٥ للشهرستاني، تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٣٥ .طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ٢/٦٠٦، وفيات الاعيان ٣/٢٨٤.

(٢) ينظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٤٧.

(٣) هو: ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي (ت: ٤٠٣هـ) من سكنة بغداد، كان أعرف الناس بعلم الكلام، وأحسنهم خاطرا، وأجودهم لسانا، وله تصانيف عدة على مذهب الأشعري منها الإنصاف، والرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة. ينظر: تاريخ بغداد ٣/٣٦٤، وفيات الاعيان ٤/٢٦٩، الاعلام للزركلي ٦/١٧٥.

(٤) ينظر: الانصاف للباقلاني ص٢١.

(٥) وهو مذهب الأستاذ أبي إسحاق الأسفرائيني، ويذكر عن ابي الحسن الاشعري. ينظر: شرح العقيدة الكبرى للسنوسي ص٢٣.

(٦) هو: ابو الحسن الهمداني عبد الجبار بن أحمد القاضي المعتزلي الشافعي (ت: ٤١٥هـ) قاضي قضاة الري شيخ الاعتزال ورئيس طائفتهم له تصانيف عدة منها (المجموع في المحيط

أن أول الواجبات التي تجب على العبد هي معرفة الله تعالى، وعلل ذلك بأنه تعالى لا يعرف بالضرورة ولا بالمشاهدة، فحين ذاك وجبت معرفته بالنظر والتفكر[١].

ويختلف هذا القول عن القول الأول في كون المعرفة هي أول الواجب أم النظر؟ ووقع فيه نزاع بين المتكلمين لكنه نزاع لفظي؛ لأن المعرفة هي من باب وجوب المقاصد، والنظر من باب وجوب الوسائل الى المقاصد[٢].

٣. وقيل هو أول جزء من النظر؛ لأن وجوب الكل يستلزم وجوب أجزائه، فأول جزء من النظر واجب وهو متقدم على النظر المتقدم على المعرفة، فهو نحو قولك: العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث، فمجموع المقدمتين هو النظر، والمقدمة الأولى هي أول النظر، وهو محكي عن القاضي أبي بكر البقلاني[٣].

٤. وقيل بل إنه القصد إلى النظر[٤]؛ لأن النظر فعل إختياري مسبوق بالقصد المتقدم على أول أجزائه[٥].

٥. بل ذهب بعضهم الى أبعد من ذلك وهو الشك[٦]، وتقديمه على النظر، وهو قول

بالتكليف) ينظر: تاريخ الاسلام للذهبي ٢٥٣/١، طبقات الشافعية للسبكي ٩٧/٥.

(١) ينظر: الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٥.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٥٣/٧.

(٣) ينظر: شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ٨٢.

(٤) أي توجيه القلب إليه بقطع العلائق المنافية له. ينظر: شرح العقيدة الكبرى للسنوسي ص٢٣.

(٥) وهذ ما ذهب اليه امام الحرمين الجويني والأستاذ أبي إسحاق الاسفرايني، والرازي ينظر: الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص١١، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٤٦.

(٦) الشك: هو ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما. ينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٢٨.

أبي هاشم الجبائي[١][٢].

والحقيقة أنه ليس كل المعتزلة قالوا بوجوب النظر، بل ذهب بعضهم الى أن معرفة الله ضرورية، وهم أهل المعارف الضرورية، ومن مذهبهم أن العلم بالله تعالى ضروري[٣]، ومنهم من ذُكر عنه أن يجوز لبعض المكلفين من الأنبياء والأولياء والصالحين من يعرف الله تعالى ضرورة مع بقاء التكليف في الدنيا[٤].

وقد اختلف المعتزلة والأشاعرة في موجب النظر، فقالت المعتزلة: إن الموجب هو العقل؛ لأن به يدرك الواجب ومنها النظر، وقالت الأشاعرة: أن الموجب هو الشرع باعتباره مصدر الأحكام التكليفية[٥].

- **أدلة هذا الفريق:**

أولاً: من القرآن: مما استدلوا به الأيات التي تحث على النظر والتفكر والتدبر، منها قوله تعالى ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يُونُس الآية ١٠١].

(١) هو: أبو هاشم عبد السلام بن ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المعتزلي (ت: ٣٢١ه) العالم ابن العالم بطريقة علم الكلام على مذهب المعتزلة وكان من كبار الأذكياء، وله مصنفات عدة منها الجامع الكبير في التفسير. ينظر: وفيات الاعيان لابن خلكان ٣ /١٨٣، طبقات المفسرين ص ١٠٣

(٢) نقل هذا القول الإمام الجويني ورده وذكر بأنه خروج عن قول الأمة، وأنا لم أقف على قوله في كتبه، ينظر: الشامل في صول الدين لإمام الحرمين الجويني ص ١٢٠، فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٣/٣٤٩.

(٣) ومن هؤلاء الجاحظ وأبي علي الأسواري، ينظر: الملل والنحل ١ /٧٥، والعواصم من القواصم لابن الوزير اليماني ٣ / ٣٣٥ و٤٢٣.

(٤) ينظر: شرح الأصول الخمسة ص ٢٥.

(٥) ينظر: الارشاد في قواطع الأدلة للجويني ص ١٥، محصل افكار المتقدمين والمتأخرين ص ٤٦، الشامل في أصول الدين للجويني ص١١٥.

وقوله تعالى ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ [الرُّوم الآية ٥٠] فالله تعالى أمر بالنظر والامر ظاهره يفيد الوجوب.

ثانيا: من السنة: احتجوا بقول النبي ﷺ فيما حكاه عن المسؤول في قبره من حديث أسماء بنت ابي بكر: (فَأَمَّا المُؤْمِنُ - أو المُوقِنُ، لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا، فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا، وَأَمَّا المُنَافِقُ - أو المُرْتَابُ لاَ أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ)[1][2].

ثالثا: الإجماع: وهو مستند الاشاعرة في وجوب النظر واعتمدوا عليه أكثر من النصوص الشرعية لانها لا تخلو عندهم من كونها حجج ظاهرية وأدلة ظنية،[3] فقالوا أجمعت الأمة على وجوب معرفة الباري تعالى، واستبان بالعقل أنه لا يتأتى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب[4].

رابعا: من المعقول[5]: وهو مستند المعتزلة في وجوب النظر، قالوا: الديانات لا يعرف الحق منها من الباطل بالحس، بل لا يعلم ذلك إلا بالإستدلال، ومن لم يحصل له العلم فهو شاك. لان العلم هو اعتقاد الشيء على ماهو به عن ضرورة واستدلال[6].

---

(١) صحيح البخاري، ابواب صلاة الكسوف، باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف، برقم: ١٠٥٣.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٤٠٩/٧.

(٣) ينظر: أبكار الأفكار ١٥٥/١- ١٥٦.

(٤) ينظر: الارشاد الى قواطع الأدلة ص١٨. شرح المقاصد للتفتازاني ٤٤/١. أبكار الأفكار للامدي ١٥٦/١

(٥) ينظر: شرح الأصول الخمسة ص ٢٦.

(٦) ينظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل ٣٢/٤

وأيضا: لوكان العلم بالله ضروريا لوجب أن يكون العادم له معذورا وهذا يوجب أن يكون الكفار كلهم معذورون لعدم معرفتهم بالله تعالى، وقائل هذا كافر، لذلك لا تقع ضرورة.

وأيضا: أنه لو كان ضروريا لما اختلف فيه العقلاء كسواد الليل وبياض النهار ولمَّا اختلفوا دل على كونه ليس ضروريا.

- **المطلب الثاني: أن معرفة الله تعالى تقع ضرورة فحسب**

وهذا مذهب الصوفية وبعض أهل الكلام وغيرهم.

حيث ذهبوا إلى أن معرفة الله تقع ضرورة في النفوس البشرية، وأنها تقع في قلوب العقلاء البالغين من غير سبب منهم ولا نظر ولا بحث[١].

فالصوفية عمدتهم في هذه المسألة هو القلب المؤمن لا العقل المفكر، وهو الكشف[٢] الذي يخترق حجب الغيب لا البرهنة العقلية القاصرة، فطريقتهم هي طريقة تنقية النفس عن الدنائس الحيوانية وتصفيتها من العلائق والهيئات البدنية، وتوجهها الى المطلوب فيحصل لهم من العقائد اليقينية والجزم بها مالا تحصله طرق النظر الكلامية[٣].

(١) ذكر ابن تيمية أن هذا القول مذكور عن المعتزلة من أمثال صالح قبة وفضل الرقاشي والجاحظ وثمامة بن أشرس. ينظر: درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٥٣.

(٢) الكشف عند الصوفية يعني: هو الاطلاع على ما وراء الغيب وجودا أو شهودا على المعاني الغيبية والأمور الحقيقية. ينظر: التعريفات الفقهية ص ١٨٢.

(٣) ينظر: نهاية العقول في دراية الأصول للرازي ص ٢٠٥.

وهذه الطريقة لا تقتصر على ترك الشهوات فقط، كما قد يتصوره البعض في مذهب الصوفية، بل لابد من دون توجه القلب عند الذكر واستحضار معانيه، فهو الذي يقوي القلب ويصلحه وينوره الى أن يصل به الى اليقين، وإلا فان ترك الشهوات فقط أمر عدمي لا يُحصل امرا وجوديا يراد اثباته به[١].

وينقل ابو بكر محمد الكلاباذي[٢] اجماع الصوفية على أن الدليل على وجود الله تعالى هو الله وحده، وأما العقل فهو مخلوق محدث، والمحدث لايدل إلا على المخلوق المحدث، ولاسبيل له للدلالة على الله تعالى، وينقل عن أبي الحسين النوري[٣] أنه سئل ما الدليل على الله ؟ قال الله، قال: فما العقل ؟ قال: العقل عاجز، والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله[٤].

(١) ينظر: تلبيس الجهمية لابن تيمية ١٨٠/٢.

(٢) هو: ابو بكر محمد بن ابراهيم بن يعقوب الكلاباذي (ت: ٣٨١هـ) العالم الفاضل الأصولي، من حفاظ الحديث من أهل بخارى، له بحر الفوائد. ينظر: طبقات المفسرين ٨٥/١، الاعلام للزركلي ٥٠٥/٥.

(٣) هو: ابو الحسين احمد بن محمد النوري (ت: ٢٩٥هـ) بغدادي المولد والمنشأ، ويعرف بابن البغوي، وأصله من خراسان، شيخ الصوفية في وقته كان معروفا بكثرة الاجتهاد والعبادة وكان الجنيد البغدادي يعظمه. ينظر: طبقات الصوفية ص ١٣٥، تاريخ بغداد ١٣٠/٥.

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٦٣.

وممن ذهب الى هذا القول من المتكلمين الجاحظ[١]، وأبو علي الأسواري[٢]، وغيرهم، وهم ما يعرفون بأهل المعارف الضرورية[٣].

إذن فمذهب هذا الفريق هو أن معرفة الله قضية لا تحتاج الى دليل، بل إن وجوده أوضح للفطر السليمة من وجود العالم، أو أن المعرفة يمكن أن تكون عن طريق الالهام[٤]، أو بتصفية الباطن كما يقوله أهل التصوف[٥].

- **المطلب الثالث: أن معرفة الله تعالى تقع عن طريق النظر والضرورة**

وهذا مذهب جمهور طوائف المسلمين.[٦]

(١) هو: أَبُو عثمان عمرو بْن بحر بْن محبوب الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) كان من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، المصنف الحسن الكلام، البديع التصانيف، في كل فن له مقالة في أصول الدين، وكان تلميذا للمتكلم المعتزلي المشهور (النظام)، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب الحيوان، فلقد جمع كل غريبة، وكذلك كتاب البيان والتبين. ينظر: تاريخ بغداد ١٢٤/١٤، وفيات الأعيان٣ /٤٧٤، سير أعلام النبلاء ٥٢٦/١١.

(٢) هو: أبو علي عمرو بن فائد الأسواري (ت: بعد ال ٢٠٠هـ) كان يذهب إلى القدر والاعتزال، وكان متروكا عند أهل الحديث، وكان قد أخذ عن عمرو بن عبيد المعتزلي وله معه مناظرات. ينظر: اللباب في معرفة الانساب لابي الحسن الجزري ص٤٧، ولسان الميزان لابن حجر٦ /٢٢٠، الاعلام للزركلي ٨٣/٥.

(٣) ينظر: الملل والنحل١ /٧٥، والعواصم من القواصم لابن الوزير اليماني٣ /٣٣٥ و٤٢٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٣٥٣/٧.

(٤) الإلهام: ما يلقى في الروع بطريق الفيض. وقيل: الإلهام: ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء، إلا عند الصوفيين. ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٣٤، الحدود الانيقة والتعريفات الدقيقة ص٦٨.

(٥) ينظر: محصل افكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٤٥.

(٦) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي ١ /١٥٢، الفصل في الملل والاهواء والنحل ٢٩/٤، ودرء

وهو أن معرفة الله تعالى يمكن أن تقع ضرورة، كما أنها يمكن أن تقع عن نظر واستدلال، وأنها تارة تقع بهذا وتارة أخرى بهذا.

ويذكر هذا الفريق أن أول واجب على المكلف هو توحيد الله عزوجل وهو مقتضى الشهادتين، وهو إقامة العبودية لله تعالى، وأما معرفته تعالى ابتداً فهذه تقع ضرورة[١] لا تحتاج إلى نظر واستدلال كما يقوله كثير من أهل الكلام؛ وإنما هي أمر فطري فطرت عليه الخلائق، وهي مركوزة في نفوسهم جميعا، بل هو علم ضروري عندهم لا يمكن دفعه، يشعر به ولو لم يستخدموا طرق البرهنة العقلية المختلفة.

فالإيمان بوجود الله تعالى والاعتقاد به ربا خالقا ومدبرا لهذا الكون ومتصرفا فيه، هو فطرة عند جميع الناس، لا يحتاج إلى إقامة برهان عليه، كما أن الغرائز الانسانية لا تحتاج إلى برهان على وجودها في الإنسان، فالفطرة الإنسانية التي طبع الله عليه البشرية تستلزم الاقرار بالخالق ومحبته والاخلاص له، وفيها من القوة التي تستوجب محبة الله والتذلل والخضوع له[٢].

وقد وافق على هذا القول أبو جعفر السمناني[٣] وهو من رؤوس الأشاعرة وانتقد ما ذهب إليه الإمام أبو الحسن الأشعري بقوله: (إن هذه المسألة بقية بقت في مقالة

تعارض العقل والنقل ٣٥٣/٧.

(١) ينظر: الشامل في اصول الدين للإمام الجويني ص ١٢٠.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ٤٤٨/٨، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ٢٣/١.

(٣) هو: أبو جعفر محمد بن احمد بن محمد السمناني القاضي الحنفي (ت: ٤٤٤) أصله من سمنان العراق، نشأ ببغداد وأخذ عن الدارقطني وولى القضاء بالموصل الى أن توفي فيها، وكان مقدم الاشعرية في وقته، ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣٥٥/١، البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٠/١١.

الأشعري من مسائل المعتزلة)[١]. وكان السمناني ممن يذهب إلى أن أول الواجبات الإيمان بالله وبرسوله وبجميع ما جاء به، ثم النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الله تعالى، فيتقدم وجوب الإيمان بالله تعالى عنده على المعرفة بالله[٢].

أولا: أدلة هذا الفريق:

أولا: من القرآن: قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الرُّوم الآية ٣٠]، وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٧٢].

ثانيا: من السنة: قوله ﷺ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أو يُنَصِّرَانِهِ، أو يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)[٣] وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: (وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)[٤].

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ٧ / ٤٠٧، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٤٩/١٣.
(٢) نقل ذلك القرطبي في تفسيره ٣٣٣/٧.
(٣) اخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين برقم: ١٣٨٥.
(٤) اخرجه الامام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم: ٢٨٢٢، وابن حبان ٢ /٤٢٢ وغيرهم.

وكذلك أن النبي ﷺ عندما بعث معاذا الى اليمن بيَّن له أول ما يدعوهم اليه: فقال: (فَلْيَكُنْ أولَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ) [١] وفي رواية: (إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى) [٢]، وفي أخرى: (عِبَادَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ) [٣]، فدله على أهم القضايا وأولاها.

ثانيا: الرد على الفريق الأول(أهل النظر والاستدلال):

وقد أجاب هذا الفريق عن أدلة الفريق الأول التي استدلوا بها على إيجاب النظر بانها لا حجة لهم فيها؛ وذلك من وجوه:

١. أن الآيات الدالة على وجوب النظر لا تدل على النظر بطريقة الجواهر والاعراض التي يلزم بها أهل الكلام الناس؛ وانما هو مطلق النظر في الآيات الكونية وبديع ما خلق الله تعالى، ولا يلزم من التغيب في النظر جعله شرطا، ودلالتها على ذلك واضحة.[٤]

٢. استدلالهم بحديث (أما المنافق أو المرتاب ...) هذا حجة عليهم، لأن هؤلاء ليسوا بمؤمنين أصلا، ولم يقل في الموقن أنه المستدل وإنما قال:(أما المؤمن أو الموقن...) واليقين لا يتوقف على الطرق الكلامية.

٣. لا يصح دعوى الاجماع على وجوب النظر؛ لأن كثيرا من العلماء من قال بوقوع المعرفة ضرورة ولها طرق مختلفة، فانتقض الإجماع بوجوب النظر[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة برقم: ١٤٥٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى برقم: ٧٣٧١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام برقم: ١٩.

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/٣٥٤).

(٥) وقد مر بنا خلال البحث العديد من الأمثلة من العلماء الذين لا يقولون بوجوب النظر.

٤. عدم موافقتهم على تعريف العلم بأنه: (اعتقاد الشيء على ما هو به عن نظر واستدلال) وأن هذا فاسد؛ لأن طرق العلم كثيرة منها ضرورة الحس، وبديهة العقل، أو برهان واستدلال، ومنها أن يخلق الله تعالى العلم في القلب ويزرعه فيه، فاذا لا يصح تقييد العلم بالنظر والاستدلال، وإنما يكون تعريفه هو اعتقاد الشيء على ما هو عليه فقط وباي طريق حصل فهو علم[١].

٥. أن من لم يشترط النظر لم ينكر أصل النظر، وإنما أنكر توقف الإيمان على وجود النظر بالطرق الكلامية، إذ لا يلزم من الترغيب في النظر جعله شرطا[٢].

٦. أن إيجاب النظر على جميع المكلفين هو ليس محل إجماع المتكلمين، بل منهم من يجعل الوجوب دائر بين الاعتقاد المطابق للمعتقد ولو كان بدون دليل، وبين المعرفة المعتمدة على الدليل الإجمالي الذي لا يعدمه العوام دون التفصيلي الذي لا يجب على الاعيان[٣].

٧. أن من متكلمي الأشاعرة من ذكر أن المعرفة إذا حصلت بغير طريق النظر فحينذاك لا يقال بوجوب النظر، وإنما يقال بالوجوب في حال عدم حصولها بغير طريق النظر[٤]. بل أن الشهرستاني[٥] صرح بأن ما شهدت به الفطرة من الاحتياج

(١) ينظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل ٣٢/٤.
(٢) ينظر: فتح الباري، (٣٥٤/١٣).
(٣) ينظر: أبكار الأفكار للامدي ١٦٤/١.
(٤) المصدر نفسه ١٦٤/١.
(٥) هو أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن احمد الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ) المصنف الفقيه المتكلم على مذهب الاشعري وكان كثير المحفوظ مليح الوعظ قوي الفهم، له نهاية الاقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل. ينظر: وفيات الاعيان ٢٦٣/٤، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٢٩/٣، سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٢٠.

الى مدبر تنتهي اليه الحاجات وترغب اليه ولا ترغب عنه، وتستغني به ولا تستغني عنه، وتفزع اليه في المهمات والشدائد هو أوضح من أدلة المتكلمين في احتياج الحادث الى محدث، واحتياج الممكن الى واجب، وأنها دون ما دلت عليه الفطرة من الاحتياج [١].

٨. ومما استدلوا به على عدم وحوب النظر أن الرسول ﷺ لم يشتغل بنصب الأدلة العقلية على وجود الله، وإنما اكتفى هووأصحابه من بعده بإجراء أحكام الإسلام بمجرد النطق بالشهادتين، ويكون سببا في دخوله في عصمة المؤمنين[٢].وقد أنكر الإمام الغزالي[٣] وابن حزم[٤] على طائفة من المتكلمين ممن يكفر عوام المسلمين لأنهم لا يعرفون الحجج العقلية عند المتكلمين[٥] بطريقة الجواهر والأعراض، وأن هذا خلاف ما كان عليه النبي ﷺ من قبول إسلام أجلاف العرب من عبدة الأوثان ولم يشتغلوا بعلم الدليل ولم يفهموه، بل ولم يعرفوه، ولم ينقل أن النبي ﷺ ولا

(١) ينظر: نهاية الأقدام في علم الكلام ص ١٢٥.

(٢) ينظر: تفسير آيات العقيدة. د. عبد العزيز حاجي ١ /٦٢.

(٣) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت: ٥٠٥هـ) الامام المتكلم الفقيه الصوفي المصنف حجة الإسلام والمسلمين إمام أئمة الدين من لم تر العيون مثله لسانا وبيانا ونطقا وخاطرا وذكاء، له قواعد العقائد وإحياء علوم الدين، ينظر: تاريخ دمشق ٥٥/٢٠٠، طبقات الشافعية ١/٢٤٩.الوافي بالوفيات ١/٢١١

(٤) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري (٤٥٦ هـ)، الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد، كان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم، وكان شافعيا ثم انتقل إلى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس صاحب فنون وتصانيف عدة، ينظر: وفيات الاعيان ٣ /٣٢٥، سير اعلام النبلاء ١٨/١٨٤، الوافي بالوفيات ٢٠ /٩٣، تذكرة الحفاظ (٣ /١١٥٤).

(٥) ينظر في ذلك ما ذكره الآمدي من أن أبا هاشم المعتزلي يكفر من لم يعرف الله تعالى بالدليل، ويذكر أن أصحابه من الأشاعرة مجمعون على خلافه ينظر: أبكار الأفكار ١/١٦٤.

أصحابه أقاموا أدلة المتكلمين من الحوادث والأعراض وغيرها من رسوم المتكلمين على الأعراب، بل إنه لم تجر معانيها في الفاظهم، فكيف يتجرأ المتكلمون على تكفير عوام الناس لعدم معرفة أدلتهم؟[١].

٩. أن إيجاب أهل الكلام لمعرفة الله تعالى هو من باب تحصيل الحاصل، فالنفوس فيها من العلوم الفطرية الحاصلة لها بالفعل أو بالقوة، وأحيانا يكون فيها نوع من الذهول فتحتاج الى تذكير كي ترجع الى علومها الفطرية المركوزة فيها، لا أنها ليست موجودة أصلا فتحتاج إلى إيجاد كما يتصور أهل الكلام[٢]، لذا فان مهمة الأنبياء كانت تذكير الناس بوضع الفطرة التي فطروا عليها وتطهيرها من دنس الشيطان؛ لأن فطر الانبياء بقيت سليمة لم تتسلط عليها الشياطين لذلك[٣]، قال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [الأعلى الآية ٩]، وقوله ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه الآية ٤٤].

ولذلك فإنه لما مضى من هذا القول تبين أن دليل الفطرة في معرفة الله تعالى يفضله كثيرون على غيره من الأدلة[٤] ويجعلونه الأول والأولى؛ لأن النفوس تستشعر بوجود الله سبحانه وتعالى، وتقر به وتذعن له، وتعترف بوجود خالق قادر، وهذا أمر مغروز في النفوس، طبع عليه الجنان وتأثر به اللسان، لا يغيره تشكيك المشككين

(١) ينظر: فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للغزالي ص ٧٥-٧٧، ورسائل ابن حزم ٣ / ١٩٣. درء تعارض العقل والنقل ٧ / ٤٠٨، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام العيني ١ / ١٠٧

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ٧ / ٤٢٥.

(٣) نهاية الأقدام في علم الكلام ص ١٢٥.

(٤) ينظر: شرح الملا علي القاري على الفقه الاكبر ص ٩. نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ٤.

ولا ارتياب المرتابين[١]، لاسيما أوقات الاضطرار والاحتياج ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسْرَاء الآية ٦٧]، وهذا ما أشار إليه الشهرستاني من أن المعارف التي تحصل من تعريفات أحوال الاضطرار أشد رسوخا في القلب من المعارف التي هي نتائج الأفكار في حال الاختيار[٢].

المطلب الرابع: الترجيح

بعد عرض قضية معرفة الله تعالى والمناقشات الدائرة فيها من كون وقوع المعرفة فطري ضروري أم انه لابد له من النظر؟ فالذي أرجحه هو وقوعها فطرية، باعتباره الأصل الذي خلق عليه الناس، والجبلة التي جبلوا عليها، وأن الفطر الإنسانية لتشهد ضرورة على وجود صانع حكيم، كما قال تعالى ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبْرَاهِيم الآية ١٠].

وهذا ما دلت عليه العديد من النصوص الشرعية، وهو المطابق للعقل وللواقع، وأن التكليف من الله تعالى لعباده لم يكن في معرفة وجود الصانع؛ وإنما في الدعوة الى التوحيد ونفي الشرك عنه تعالى، وأن الصراع بين الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم لم يكن إلا في هذا الأمر[٣]، والقرآن فيه الكثير من النصوص الدالة على هذه القضية منها قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غَافِر الآية ١٢]، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ

(١) ينظر: دلائل التوحيد للقاسمي ص١٦.
(٢) ينظر: نهاية الإقدام في علم الكلام ص ١٢٤.
(٣) ينظر: نهاية الاقدام في علم الكلام للشهرستاني ص١٢٤.

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ [الزُّمَر الآية ٤٥]، والآيات في ذلك كثيرة.

إلا أنه يمكن أن يقال أن بعض الناس قد يحتاج إلى النظر، لاسيما ممن فسدت فطرهم وتلوثت بمبادئ وأفكار منحرفة، أو ممن عاشوا في بيئات فاسدة، او تعرضوا لموجات الالحاد وشبههم فهذا الفريق من الناس لابد لهم من النظر والتفكر والتدبر، كي يصلوا إلى الحقيقة الواضحة البينة التي تراكمت عليها الغفلة العميقة بسبب هذه الشبهات أو الشهوات، وهذا فرض على كل من لم تطمئن نفسه الى التصديق والإيمان، ووجب عليه النظر في الطريق المناسب لتحصيل الايمان لديه بما يناسب عقله ومستواه التفكيري ورصيده المعرفي وحجم الشبهات المتراكمة على عقله.

وأما من اطمأنت نفسه للإيمان وأراد زيادة الخير بالنظر والتفكر والتدبر فهذا فعل حسن مندوب إليه[١]، أما إيجابه ابتداء على كل الناس فهذا لم يقل به السلف الصالح، ولا من المتقدمين من علماء هذه الامة [٢].

ولكن النظر هذا ليس كنظر المتكلمين في حدوث الأجسام والأعراض والإستدلال بها بالطريقة الكلامية المعقدة، التي تاه فيها أصحابها أنفسهم، وقد ذكروا في ذلك حكايات عن المتقدمين منهم تحكي قصة ندمهم ورجوعهم في آخر حياتهم الى عقائد عوام المسلمين، بعد أن خاضوا تجربة علم الكلام، منها قول الشهرستاني:[٣]

لقد طفت فِي تِلْكَ الْمعَاهد كلهَا وسيَّرتُ طرفِي بَين تِلْكَ المعالم
فَلم أر إِلَّا وَاضِعا كف حائر على ذقن أو قارعا سنّ نادم

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ٤ /٣٣.
(٢) ينظر: رسالة قنوت الأشياء من كتاب جامع الرسائل لابن تيمية ص ١٤.
(٣) ينظر: نهاية الأقدام في علم الكلام ص٣-٤.

وكذلك ما يذكر عن الإمام الجويني[١] قوله:(قرأت ألفا في خمسين ألفا، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام منها، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن قد رجعت من الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز)[٢]الى غير ذلك من الحكايات عن علماء الكلام .

والمقصود أن المعرفة والعلم لا تتوقف على النظر بطرق الجدل والكلام؛ وإنما له طرق أخرى منها النظر في المخلوقات، وما أبدع الله فيها من عظيم الصنعة، وحسن الإتقان، وهوما يعرف (بدليل العناية والاختراع) والذي هويتماشى مع النفوس البشرية، لبساطته وسهولته وانسجامه مع الفطر البشرية للإحساس به قويا لايمكن الفكاك منه، أو التغافل عنه، ومنها نظر الإنسان الى نفسه، وما فيه من إعجاز إلهي يبهر العقول، ويدل النفوس الحائرة التائهة الى العظيم جل جلاله، والذي دل عليه القران[٣] وأمر به ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذَّارِيَات الآية ٢١]، ومنها النظر في (دلائل المعجزات) التي تبثت صدق دعوى الأنبياء والمرسلين، وبالتالي هي إثبات وجود الصانع الذي أيدهم بهذه المعجزات التي يعجز البشر عن مثلها، ودليل المعجزة من الأدلة القوية

(١) هو: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد(ت: ٤٧٨هـ)، الإمام الكبير المحقق الاصولي شيخ الشافعية الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، صاحب المصنفات، له اصول الدين والإرشاد على مذهب الاشاعرة. ينظر: الوافي بالوفيات ١١٦/١٩، اسير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨، طبقات الشافعية للسبكي ١٦٥/٥، الاعلام للزركلي ٤/ ١٦.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٥ /١٨٥، طبقات الشافعين لابن كثير١/٤٦٨.

(٣) ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ص ١٥٠.

على وجود الخالق سبحانه وتعالى، فينبغي النظر فيها ومعرفتها معرفة صحيحة وتمييزها عن السحر والشعوذة التي هي محض أوهام وخيالات ليست من جنس المعجزات[١].

(١) ينظر: النبوات لابن تيمية ٢/٩٨٠.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث يمكن أن نخرج بخاتمة وهي كالتالي:

١. أكثر أهل الكلام على أن النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى هو أول واجب على المكلف، وعند بعضهم لا يصح إيمان المسلم بدونه، وخالفهم أهل الحديث والصوفية وكثير من المتكلمين بإن معرفة الله تعالى فطرية يضطر اليها الخلق بما أقام الله من شواهد خلقه الدالة على وجوده.

٢. إن أول واجب أمرت به النصوص الشرعية هو إفراد الله تعالى بالعبادة وعدم الإشراك به تعالى، ولم يطلب منهم إثبات وجود الله تعالى؛ لان البشرية قد أقرت ذلك واعترفت به فطرة.

٣. إن أهل الكلام ليسوا على موقف واحد من النظر الكلامي بل هم مختلفون فيه، وفي أول واجب على المكلف.

٤. إن معرفة الله تعالى وتحصيل طريق الايمان اليقيني لا يتوقف على النظر الكلامي، بل إن هناك أدلة عقلية وشرعية كدلالة العناية والاختراع، ودليل صدق معجزات الأنبياء، وهي أسهل تناولا، وأوضح حجة، وهي طريقة القران في دعوة الناس للإيمان به سبحانه وتعالى، وهي أبعد إشكالا من الحججج العقلية المجردة، التي لا تخلو من إشكال عند النظار انفسهم.

٥. جنس النظر والتفكر أمر شرعي وردت به النصوص، وإنكار العلماء إنما كان على مسالة إيجاب النظر بالطرق الكلامية.

٦. النظر لا يلزم به كل الناس، فمن لم تكن له أهلية النظر وحصل له اليقين التام

فانه يكتفى به، ومن كانت له أهلية النظر فانه يطالب بالدليل مع الايمان وكل بحسبه ويكفي فيه الدليل العام دون التفصيل

٧. وجوب النظر يكون في حق من تزعزع إيمانه وتشكك يقينه، فهذا الذي يحتاجه لاعادة برد اليقين إليه، أما فرضه على الناس ابتداء فلا يصح القول به؛ لانه من باب تحصيل الحاصل.

المصادر

١. أبكار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين الآمدي (ت:٦٣١هـ) تحقيق: أحمد محمد المهدي، دار الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.

٢. إحياء علوم الدين دار الحديث الإمام الغزالي، القاهرة، تحقيق سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران.

٣. الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، (ت:٤٧٨ هـ) تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤. الاصول الخمسة المنسوب إلى القاضي عبد الجبار، تحقيق د. فيصل بدير عون، الناشر جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٩م.

٥. الاعلام خير الدين، الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين ط١٥، ٢٠٠٢ م.

٦. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، محمد بن الحسن الطوسي(ت:٤٦٠هـ) دار الأضواء، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧. الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت:٤٠٣هـ) تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الازهرية للتراث، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٨. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت: ٩٧٨هـ)، المحقق: يحيى حسن مراد، الناشر:

دار الكتب العلمية طبعة: ٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ.

٩. البداية والنهاية إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت:٧٧٤هـ) المحقق: علي شيري الناشر: دار إحياء التراث العربي،ط١، ١٤٠٨، هـ- ١٩٨٨ م.

١٠. بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: د. رشيد حسن محمد علي، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

١١. تاريخ الإسلام، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي،ط١، ٢٠٠٣ م.

١٢. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢ م

١٣. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت: ٥٧١هـ) الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٤ه.

١٤. تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت:٧٤٨هـ) تحقيق: الناشر دار الكتب العلمية،بيروت.(دون معلومات الطبعة والسنة)

١٥. التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد الكلاباذي أبو بكر(ت: ٣٨٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٦. التعريفات الفقهية محمد عميم الإحسان المجددي البركتي الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

١٧. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي،، (تحقيق إباهيم الأبياري،

دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، سنة١٤٠٥هـ.

١٨. تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد القرطبي (ت:٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٩. تفسير آيات العقيدة. د. عبد العزيز حاجي دار الصابوني / القاهرة، ط١.

٢٠. حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، برهان الدين ابراهيم الباجوري، تحقيق: أ. د. علي جمعة الشافعي، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢١. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٢٢. دلائل التوحيد للقاسمي (طبعة قديمة بدون معلومات).

٢٣. رسائل ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، سنة ١٩٨١م.

٢٤. الشامل في اصول الدين، إمام الحرمين الجويني (ت: ٤٧٨هـ) تخقيق: علي سامي النشار، المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٩م

٢٥. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ط ١، سنة ١٩٦٥م.

٢٦. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (ت: ٧٩٢هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٧. شرح العقيدة الكبرى المسماة (عقيدة اهل التوحيد) ابو عبدالله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني(ت:٨٩٥) تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٨. شرح الفقه الاكبر، الملا علي القاري(ت:١٠٠١هـ) دار الكتب العربية، مصر (دون معلومات الطبع).

٢٩.شرح المقاصد في علم الكلام سعد الدين التفتازاني (ت:٧٩١هـ) تحقيق: الناشر دار المعارف النعمانية، سنة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٣٠. شرح جوهرة التوحيد للعلامة اللقاني. دار الكتب العامية، بيروت ط١.

٣١. صحيح البخاري،محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ) المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٢. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٣. طبقات الشافعية أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت:٨٥١هـ) تحقيق د.الحافظ عبد العليم خان الناشر عالم الكتب، بيروت،سنة ١٤٠٧هـ.

٣٤. طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين السبكي (ت:٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٥. طبقات الصوفية: محمد أبو عبد الرحمن السلمي (ت:٤١٢هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٣٦. الحدود الانيقة والتعريفات الدقيقة الحدود زكريا الأنصاري أبو يحيى (ت:٩٢٦هـ) تحقيق د. مازن المبارك الناشر دار الفكر المعاصر، بيروت، سنة ١٤١١هـ.

٣٧. طبقات المفسرين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، سنة النشر ١٣٩٦هـ.

٣٨. طبقات فقهاء الشافعية تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح (ت:٦٤٣هـ) تحقيق محيي الدين علي نجيب الناشر دار البشائر الإسلامية، سنة النشر ١٩٩٢م.

٣٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين محمود بن أحمد العيني، (ت:٨٥٥هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي(دون معلومات الطبعة والسنة).

٤٠. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لا بن الوزير اليماني تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢،سنة ١٩٩٢م.

٤١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني(ت:٨٥٢هـ) الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٢. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢ ، ١٩٧٧.

٤٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد(ت ٤٥٦) تحقيق:الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٤. فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة، حجة الاسلام ابو حامد الغزالي، تحقيق ومراجعة محمود بيجو، ط١، ١٩٩٣م (بدون ذكر الدار والطبعه).

٤٥. المجموع في المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار، الناشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٦٥م.

٤٦. محصل أفكار المتقدين والمتأخرين للرازي وبذيله كتاب تلخيص المحصل للعلامة نصير الدين الطوسي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٤٧. المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى البغدادي، تحقيق د.وديع زيدان حداد، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٨١م.

٤٨. الملل والنحل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة، سنة ١٤٠٤هـ.

٤٩. مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تحقيق: د. محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٤م.

٥٠. المواقف، عبد الرحمن بن احمد الايجي، عالم الكتب، بيروت (دون معلومات الطبع).

٥١. النبوات ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

٥٢. نهاية الأقدام في علم الكلام لعبد الكريم الشهرستاني(ت:٥٤٨)، حرره وصححه الفرد جيوم طبع مكتبة المثنى، القاهرة (بدون ذكر الطبعة والسنة).

٥٣. نهاية العقول في دراية الأصول، فخر الدين الرازي، تحقيق: سعيد عبد اللطيف فودة، دار الذخائر، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٥٤. الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م

٥٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، (دون الطبعة وسنة الطبع).